﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٩﴾ [الشعراء: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الباطل دائمًا أمام الحقّ ضعيف، وآلته التّزييف والتّخويف

لَمّا رأى السَّحرة قبح ما كانوا عليه من الكفر والتَّضليل؛ خرّوا سجَّدًا للعليِّ الجليل؛ فأسرع فرعونُ إلى اتِّهامهم بالتَّواطؤ والتَّخذيل، وتوعَّدهم بأشدِّ أنواع التَّعذيب والتَّقتيل؛ لينفِّر النّاس عنهم ويصدَّهم عن سواء السَّبيل[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَاذَنَ﴾: أصل (أذن) يدلُّ على العلم[2]، أذِن للشَّيء آذَن له أَذَنًا: استمع له، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢﴾ [الانشقاق: 2][3]، والأُذن: الجارحة، جمعها آذان[4]، ويستعمل كذلك في العلم الذي يُتَوصَّل إليه بالسَّماع، يقال: آذَنْتُه بكذا أوذنه إيذانًا، إذا أعلمه؛ وقد أذِن به يأذَن إذا علِم، نحو قوله تعالى: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: 279][5].

والأذان: الإعلام، وأذان الصلاة: إعلام بها وبوقتها، والمؤذِّن: كلُّ من يُعلِم بشيء نداءً[6].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 504، وابن عادل، اللُّباب: 15/ 26، 27، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 34، 35، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 12، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 116، وصديق حسن خان، فتح البيان: 9/ 378.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أذن).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (أذن).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (أذن).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أذن).

(6) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (أذن).

والإذن في الشَّيء: الإعلام بإجازته والرُّخصة فيه، والإعلام برفع الحَرَج في فعله، يقال أَذِنْتُ لفلان في أمر كذا وكذا آذَن له إذنًا[1]، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؛ أي: قبل أن آمركم به، وآذن لكم فيه[2].

2) ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾: أصل (قطع) يدلُّ على صَرْم وإبانة شيء من شيء[3]، وقَطَعْتُ الشَّيء أقطعه قَطْعًا وقَطيعَة وقُطوعًا[4]، والقَطْع: فصل الشَّيء مُدْرَكًا بالبصر، وإبانة بعض الأجزاء من بعض كالأجسام، أو مُدْرَكًا بالبصيرة كالأشياء المعقولة[5].

وقَطَّعت الشَّيء، شُدِّد للكثرة، فتقطَّع[6]، ومنه تقطيع الثَّوب، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: 19]، بمعنى: خيطَتْ وسوِّيت، وجُعِلتْ لَبوسًا لهم[7] ومن ذلك قطع الأعضاء، نحو قوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾[8].

3) ﴿خِلَٰفٍ﴾: أصل (خلف) يدلُّ على كون أو بقيَّة بعد ذاهب أو وراءه في ظهره[9]، والخَلْف: ظرف مكان مثل وراء، وهو ضدُّ القُدّام، وخَلَف ضِدُّ تقدَّم وسَلَف، والمتأخِّر لقصور منزلته يقال له: خَلْف، والخَلْف: الظَّهْر[10]، والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كلُّ واحد من الخصمين طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله أو فعله، والخِلاف: أعمُّ من الضِّدِّ؛ لأنَّ كلَّ ضدَّين مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضدَّين[11]، واختلاف الليل والنهار؛ أي: مجيء كلِّ واحد منهما خلف الآخر وتعاقبهما، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: 6][12].

ومعنى الخلاف في قوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾؛ أي: أن

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أذن).
(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 2/ 237، والآلوسي، روح المعاني: 5/ 27.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قطع).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (قطع).
(5) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قطع).
(6) الجوهري، الصحاح: (قطع).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قطع).
(8) الراغب، المفردات: (قطع).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي: (خلف).
(10) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خلف).
(11) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خلف).
(12) الراغب، المفردات: (خلف).

يَقْطَع من كلِّ شقٍّ طرفًا، فيقطع اليد اليمنى والرِّجل اليسرى، أو الرِّجل اليمنى واليد اليسرى[1].

4) ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾: أصل (صلب) يدلُّ على الشِّدة والقوَّة[2]، وقد صَلُبَ الشَّيء يصلُب صَلابة، وصلَّبته أنا؛ فهو صُلب وصَليب؛ أي: شديد، وباعتبار الصَّلابة والشِّدة سُمِّي الظَّهر صُلْبًا وصَلَبًا، وهو العظم ما بين الكاهل والعَجْب، وجمعه: أصلُبٌ وأَصْلابٌ[3].

والصَّلَبُ والاصْطِلابُ: استخراجُ الوَدَك من العظم ليُؤْتَدَمَ به[4].

والصُّلْب من الأرض: المكان الغليظ المنقاد، والجمع: الصِّلَبَة[5].

والصَّلْب: هو تعليق الإنسان للقتل بشَدِّ صُلْبِه على خَشَب، والصَّليب: أصله الخَشَب الذي يُصلَب عليه، وكذا ما يَتَقَرَّب به النَّصارى، ويتَّخذونه قِبلَة لهم، وجمعه: صُلُب وصُلبان[6]، يقال: صَلَبَه يصلُبُه صَلْبًا، وصلَّبه بالتَّشديد أيضًا كذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أنكر الطّاغية عليهم الإيمان، رغم ظهور الحُجَّة ووضوح البيان

يكشف لنا السِّياق القرآنيُّ في هذه الآية الكريمة عنْ موقف هذا الطّاغية فرعون بعد أنْ آمنَ قومُه من السَّحَرة واستسلموا لله ربِّ العالمين؛ حيث هدَّدهم وتوعَّدهم بالعذاب فقال في جرأةٍ شديدةٍ وحدَّةٍ عجيبةٍ: آمنتم أيُّها السَّحرةُ لموسى وصدَّقتم به دون إذن لَّكم من جانبي على الإيمان، وقال موهمًا أنَّ فِعْلَ موسى سحرٌ: إنَّه لَعالِمُكُم

(1) البغوي، معالم التنزيل: 3/ 266، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7/ 261.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صلب).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (صلب).
(4) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (صلب).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (صلب).
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (صلب).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (صلب).

وأستاذكم الَّذي علَّمكُم السِّحْرَ وفنونَه، فلسوف تعلمون عاقبة فعلكم، وعظيم جُرمِكم هذا بتقطيع أكفِّكم وأقدامكم مِنْ عكسٍ؛ وذلك بقطع اليد اليمنى مع الرِّجل اليسرى، واليد اليسرى مع الرِّجل اليمنى، ثمَّ بصلبكم جميعًا على جذوع النَّخل بعد ذلك على رؤوس الأشهاد[1].

وترشد الآية الكريمةُ إلى عِظَم معاندة فرعون ومكابرته التي يعلم كلُّ أحدٍ بطلانها؛ فإنَّ السحرة المؤمنين لم يجتمعوا بموسى قبل هذا اليوم، وإلى أنَّ أصحابَ العقول السليمة يؤمنون بالحق الواضح، والآياتِ الباهرة إذا ظهرت لهم وتبيَّن لهم صِدْقُها، وأنَّ ما سلكه فرعون مع السحرة كلَّه من باب المناورات السياسية الفاشلة[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتة فصل قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ﴾ عن سابقه:

فُصِل قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه استئناف بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مقدَّر بعد قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، فكأنَّ سائلًا سأل عمّا أجاب به فرعونُ، فأُجيب: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ﴾، ففُصِل لهذا، ولوقوعه في طريق المحاورة[3].

الاستئنافُ البيانيُّ يُفصَل عن سابقه، ويمهِّد للاحقه

سرُّ إضمار فاعل القول وعدم التَّصريح به:

الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ﴾ هو فرعون لعنه الله، ولمّا تقدَّم ما يُعرف به أنَّ المنكِر على السَّحَرة سجودَهم هو فرعون نفسه؛ أُضمِر ذكره لأمن اللُّبْس، ومقصود السّورة غير مقتضٍ للتَّصريح كما في الأعراف، بل ملائم للإعراض عنه، والإراحة منه[4].

جوازُ حذفِ المعلوم عند أمن اللَّبْس، لاستقرار معرفته في النَّفس

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 128، والهرري، حدائق الروح والريحان: 20/ 201 - 203.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 128، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 591، والجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 650.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 53.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 34.

توجيه القراءات القرآنيَّة المتواترة في قوله: ﴿ءَامَنتُمۡ﴾:

قـــراءةُ الإخبـار فـيـهـا إنـكـار وتنديد، وقراءة الاستفهام تقرير وتهديد

اختلف القُرّاء في قراءة قوله: ﴿ءَامَنتُمۡ﴾[1]:

فقرأها بهمزة واحدة على الخبر: حفصٌ، ورَوَيْس، والأصبهانيُّ عن ورشٍ، وقرأها بهمزة محقَّقَة فمسهَّلة ثمَّ ألِف: قالونُ، والأزرقُ، وابنُ كثير، وأبو عمرٍو، وابنُ ذكوان، وهشامٌ بخُلْفه، وأبو جعفر، وقرأها هشام - في وجهه الثّاني - وأبو بكر، وحمزةُ، والكسائيُّ، ورَوْح، وخَلَفٌ بهمزتين محقَّقَتين ثمَّ ألِف على الاستفهام.

ووجه الخبر فيه أنَّ فرعون يخبر السَّحَرة بإيمانهم على وجه التَّقريع لهم بإيمانهم والإنكار له عليهم، ووجه الاستفهام أنَّه استفهام على وجه التَّقرير المضمَّن للتَّهديد، يوبِّخهم به وينكره عليهم[2].

ففي الإخبار إنكار وتقريع، وفي الاستفهام توبيخ وتهديد، مجازًا مرسَلًا مركَّبًا لظهور أنَّه لا يقصد حقيقةَ الاستفهام ولا حقيقة الإخبار؛ لأنَّ المخاطَبين صرَّحوا بذلك وعلِموه[3].

وهذا شأن كلِّ جبّار متحكِّم، كأنَّه مَلَك الأفئدة والعقول والأجساد ونوازع النُّفوس؛ لأنَّ الذين حوله يوعِزون له بذلك وبأنَّ هذا حقٌّ له فرضَتْه الطّاعة، ثمَّ الألوهيَّة الباطلة[4].

نكتة تعدية فعل الإيمان باللّام دون الباء:

التعدية هنا فيها معنى الانقياد والاستسلام

الإيمان في الأصل متعدٍّ بنفسه ثم شاع تعدِّيه بالباء لِما فيه من التصديق حتى صار حقيقةً، وإذا ضُمِّن معنى الانقياد عُدِّي باللام؛ يقال: انقاد له[5].

(1) ابن الجزري، النشر: 1/ 368، والبنا، إتحاف فضلاء البشر، ص: 421، والمعصراوي، الكامل المفصل، ص: 369.
(2) أبو علي الفارسي، الحجة: 4/ 70 - 71.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 53.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5356، والهرري، حدائق الروح والريحان: 20/ 202.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 541، 542.

وعُدِّي فعل الإيمان باللّام في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؛ لتضمينه معنى استسلمتم وانقدتم[1]، فقوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؛ أي: آمنتم للذي يدعو إليه موسى وهارون مذعنين خاضعين[2]، والغالب في الاستعمال القرآنيِّ تعدية (آمن) بالباء إذا كان مقصودًا به الإيمان بالله تعالى، مثل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: 8]، و﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: 136]، وتعديته باللام إذا كان لغيره، مثل: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: 213]، و ﴿۞فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: 26][3].

وهذا يدلُّ على أنَّ فرعون لا يقرُّ أصلًا بوجود إله في السَّماء، بل يرى أنَّ الألوهيَّة متحقِّقة في البشر، في الأشراف منهم، ولمّا لم يرَ مَن هو أشرف منه فقد ادَّعاها لنفسه ورأى أنَّه بها أحقُّ.

فلمّا ناظَرَ نبيُّ الله موسى ﷺ السَّحَرةَ وغُلِبوا وانقلبوا صاغرين، ظنَّ اللَّعين فرعونُ أنَّهم إنَّما آمنوا بموسى ﷺ لا بربِّه، رغم نصِّهم على خلافه في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، فعدَّى فعل الإيمان - هنا - باللّام دون الباء.

فحقيقة الكلام: "أأَوْقَعتم التَّصديق بما أخبر به؛ لأجله إعظامًا له بذلك"[4]؟!.

دلالة الإشارة إلى موسى ﷺ بالضَّمير:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ إشارة لنبيِّ الله موسى ﷺ بالإضمار بعد الإظهار في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾؛ جريًا على الظّاهر، إذ الأصل في ذلك:

في التَّعبير - دون العلم - بالضَّمير إلماح بالتَّقليل والتَّحقير

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 74.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5356.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 463، والزمخشري، الكشاف: 3/ 76، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 358.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 34.

أن يؤتى بالإظهار ثمَّ بالإضمار؛ ولأنَّ فرعون كان يخاطِب سَحَرَته الذين فُجِع بسجودهم لله ربِّ العالمين.

ويُلمَح فيه - مع ما تقدَّم - إرادةٌ من الدَّليل اللَّئيم لاحتقار الشَّريف الكليم عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم، فلم يذكره باسمه العلم، وإنَّما بضمير الغائب كأنَّه غير موجود؛ مبالغةً في صرف النّاس عنه، فكان غير ما أراد؛ فبين يدي الله قلوب العباد!.

سرُّ التَّعبير بالضمير المفرد بعد تقدُّم المثنَّى:

أُفرِد موسى عليه السلام بالضَّمير؛ لأنَّه صاحب الرِّسالة والتنظير

في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ خروج عن مقتضى الظّاهر؛ إذ الظّاهر أن يُعبَّر بالمثنَّى بعد قوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ فيقال: (آمنتم لهما)، ولكن قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أُريد به موسى عليه السلام فقط، وإنَّما أفرده بالضَّمير لأنَّه الأصل في هذه الرِّسالة، وهو المُناظِر، وهو الغالب السَّحَرَةَ[1].

دلالة التَّعبير بالظَّرفيَّة الزَّمانيَّة القَبْلية:

المقصود بالقَبْليَّة مطلق الاستئذان، لا أنَّ وقوع الإذن في الإمكان

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؛ أي: كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم، ولا تفتاتوا عليَّ في ذلك، فإنْ أذنتُ لكم فعلتم[2]، فهو ترقٍّ في موجب التَّوبيخ؛ أي: لم يكفكم أنَّكم آمنتم بغيري حتى فعلتم ذلك عن غير استئذان[3]!.

والمقصود بالقَبْليَّة هنا هو مطلق الاستئذان، لا إمكان وقوع الإذن، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: 109] والشَّرط لا يدلُّ على وقوع الشَّيء، ولا إمكان وقوعه، وهذه الآية من هذا المعنى؛ لأنَّ فرعون عليه اللَّعنة لم يقصد الإذن لهم بوجهٍ، لا قبلَ الإيمان ولا بعدَه[4]، فليس المقصود أنَّ إذن الإيمان من فرعون ممكن أو متوقَّع[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 34.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 141.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 54.
(4) ابن عرفة، تفسير القرآن: 3/ 244.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 243، والبروسوي، روح البيان: 6/ 274، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 79.

سرُّ التَّعبير بالمصدر المؤوَّل دون الصَّريح:

الـدلالـة على الـزَّمـن ومـجـرَّد معنى الحدث

يفيد المصدر المؤوَّل الدَّلالة على الزَّمن لاشتماله على الفعل، وهو مع (أنْ) يدلُّ على مجرَّد معنى الحدث دون احتمالٍ زائدٍ عليه، ففي (أنْ) تحصين مِن الإشكال، وتخليصٌ له من شوائب الإجمال، كما أنَّ (أَنْ) والفعل قد تفيد الإباحة، ولا تفيد القطع بحصول الفعل، بخلاف المصدر الصَّريح، فليس فيه شيء من هذا[1].

فلأجل ما تقدَّم أوثر التَّعبير بالمصدر المؤوَّل في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؛ لاشتماله على الفعل المضارع ﴿ءَاذَنَ﴾ الدّالِّ على حدوث الفعل في الحال أو الاستقبال؛ لتحصل - بالتَّعبير به - المقارنة بين الماضي في ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ الدّالِّ على تحقُّق إيمان السَّحَرة الذي أكَّده سجودُهم لربِّ العالمين، وبين المضارع غيرِ المقطوع بحصوله في ﴿ءَاذَنَ لَكُمْ﴾، بل إنَّ مجيئه بعد القبليَّة الزَّمانيَّة: ﴿قَبْلَ﴾ يدلُّ على الشَّكِّ في إمكان حدوثه أصلًا، وهذا ما لا يؤدِّيه المصدر الصَّريح.

ثمَّ إنَّ فيه ملمحًا آخر، وهو أنَّ المصدر الصَّريح: (قبل إذني لكم) أسرعُ في الأداء الصَّوتيِّ من المصدر الوارد في الآية: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؛ ممّا يوحي ببطء حصول الإذن أو عدم حصوله ألبتَّة.

نكتة حذف متعلِّق الفعل ﴿ءَاذَنَ﴾:

حُـذِف المتعلِّق لـلـعـلـم بـه، ولتقدُّم ما يدلُّ عليه

في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ حُذِفَ متعلِّق الفعل ﴿ءَاذَنَ﴾ للعلم به لتقدُّمه قبله، وهو قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، فالتَّقدير: (قبل أن آذن لكم وآمرَكم بالإيمان به)[2].

معنى اللّام ودلالتها في قوله: ﴿لَكُمْ﴾:

الاخـتـصـاص، وجـــيء بـهـا للتَّعدية

اللّام في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ هي لتعدية الفعل ﴿ءَاذَنَ﴾، وهي دالَّة بأصل وضعها على معنى الاختصاص[3]؛ أي:

(1) السامرائي، معاني النحو: 3/ 147 - 149.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 13/ 33.
(3) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.

آمنتم لموسى مستسلمين له خاضعين لِما جاء به، قبل أن أخصَّكم بإذن منِّي!.

فالذي يعني فرعونَ مِن أمر السَّحَرة في هذا الموقف هو خروجُهم عن أمرِه، ومتابعة موسى ﷺ مِن غير إذنٍ منه يخصُّهم به؛ إذ كيف يكون لهم وجود خاصٌّ، وكيف يكون لعقولهم ومشاعرهم سلطان عليهم مع سلطانه؟ إنَّه يملكهم ويملك وجودهم الخارجيَّ والداخليَّ جميعًا[1].

علَّة فصل قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ عن سابقه:

فُصِل قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ عن سابقه؛ لكونه واقعًا موقع التَّعليل لما قبله، وإجابة عن سؤال مقدَّر، وهو: لماذا آمنتم له قبل أن آذن لكم؟ فجاء الجواب: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾، حيث علَّل فِعلهم بما يقتضي أنَّه عن مكرٍ وخداع، لا عن حسن اتِّباع[2]؛ وذلك لئلّا يعتقد النّاس أنَّ السَّحَرة آمنوا على بصيرة وظهور حقٍّ[3].

وقع موقع التَّعليل لسابقه، والتَّمهيد للاحقه

نكتة توكيد الجملة بـ(إنَّ):

أُكِّد قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ بـ(إنَّ) النّائب منابَ تكرير الجملة مرَّتين[4]، وذلك لإفادة معنى التَّحقيق، وإزالة الشَّكِّ والتَّردُّد.

معنى اللّام ودلالتها في قوله: ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾:

اللّام في قوله: ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ هي اللّام المزحْلَقة المفيدة للتَّوكيد[5]، وإنّما أُكِّد الكلام بـ(إنَّ) واللّام؛ لأنَّ فرعون كان يعلم من نفسه أنَّ موسى ﷺ ليس بساحر ولا تعلَّم السِّحر، فضلًا عن أن يكون كبيرَ السَّحَرة، وإذا كان فرعونُ يعلم ذلك من نفسه فجميع مَن حضر

يحسُن سوقُ الكلام مؤكَّدا أو مكرَّرا إذا كان المخاطَب شاكًّا أو منكِرًا

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 10/ 88.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 34.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 74.
(4) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 526.
(5) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 572.

المناظَرة يعلم هذا أيضًا، فلذلك لجأ فرعون إلى تأكيد الكلام بأكثر مِن مؤكِّد؛ لأنَّ المخاطَبين منكِرون.

دلالة التَّعبير بالكِبَر مادَّة وصيغة:

الكِبَر خلاف الصِّغر، ويطلق على العظَمَة والكبرياء، وأصل معناه: نمو حجم الشَّيء ماديًّا أو معنويًّا بالنِّسبة لحجمه أو لحجم غيره[1].

الكِبَرُ فيه معنى العَظَمَة وأُريد به هنا الأستاذيَّة، واستُفيد الثُّبوت من الاسميَّة

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾؛ أي: أستاذُكم وأعلمُكم في فنِّكم[2]، والاسميَّة فيها لإفادة معنى الثُّبوت، والمعنى: (إنَّما غَلَبكم؛ لأنَّه أحذقُ بالسِّحر منكم)[3].

وإنَّما اعترف له بكونه كبيرَهم مع كونه لا يحبُّ الاعتراف بشيء يرتفع به شأن موسى عليه السلام؛ لأنَّه قد علِم كلُّ مَن حضر أنَّ ما جاء به موسى عليه السلام أبْهَرُ ممّا جاء به السَّحَرة، فأراد أن يشكِّكَ على النّاس بأنَّ هذا الذي شاهدتم - وإن كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السَّحَرة - فهو فِعلُ كبيرِهم وأستاذِهم الذي أخذوا عنه هذه الصِّناعة، فلا تظنّوا أنَّه فِعلٌ لا يقدر عليه البشر، وإنَّه مِن فِعلِ الرَّبِّ الذي يدعو إليه موسى عليه السلام[4].

نكتة التَّعبير بالاسم الموصول وصلته: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ﴾:

أُريد الوصف بما تضمَّنته صلة الموصول ليكون الكلام أمكن في العقول

عُبِّر بالاسم الموصول وصلته في: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ لإرادة وصف المُسْنَد ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ بما تضمَّنته جملة الصِّلة وهو تعليم السِّحر؛ ذلك أنَّه لمّا كان قوله: ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ مشعِرًا بنسبته نبيَّ اللّه موسى عليه السلام إلى السِّحر، وأنَّه أعلم منهم به، فلذلك غلبهم - أَوْضَحَهُ بقوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾؛ أي: فأنتم تتَّبعون معلِّمَكُم ولا تتَّبعونني، بل تواعدتم معه على هذا الفعل لتنزعوا المُلْك مِن

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (كبر).
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 402.
(3) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 571.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 116.

أربابه! هذا وكلُّ مَن سَمِعه يعلم كَذِبَه قطعًا، فإنَّ موسى ﷺ ما رُبِّي إلّا في بيته، واستمرَّ حتى فرَّ منهم إلى مدين، لا يعلم سحرًا، ولا ألمَّ بساحر، ولا سافر إلّا إلى مدين، ثمَّ لم يرجع إلّا داعيًا إلى اللّه[1].

دلالة التَّعبير بالماضي في: ﴿عَلَّمَكُمُ﴾:

فيه معنى التَّحقيق، وهو بإفادة التَّوكيد حقيق

يفيد التَّعبير بالماضي نوعَ توكيدٍ من حيثُ دلالتُه على تحقُّق وقوع الفعل قبل زمن التَّكلُّم، وهذا ما أراده فرعون برمي نبيِّ اللّه موسى ﷺ بالسِّحر، وأكَّد ذلك بالتَّعبير بالماضي؛ لينفي عن نفسه كذِبًا هو يعلمه مِن نفسه فضلًا عن النّاس!

وإنَّما أراد بهذه الفريةِ أن يُلبِّس على قومِه كيلا يعتقدوا أنَّ السَّحَرة آمنوا عن بصيرةٍ وظهورِ حقٍّ؛ ذلك أنَّ السَّحَرة لمّا آمنوا بأجمعهم لم يأمنْ فرعونُ أن يقول النّاسُ إنَّ هؤلاء السَّحَرة على كثرتهم وتظاهُرهم لم يؤمنوا إلّا عن معرفةٍ بصِحَّة أمر موسى ﷺ فيسلُكون مِثلَ طريقهم، فلَبَّس على القوم وبالغ في التَّنفير عن موسى ﷺ[2].

معنى (أل) في ﴿ٱلسِّحْرَ﴾:

التَّعريف المفيد للعهد

(أل) في ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ هي العهديَّة، فقوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾؛ أي: هذا السِّحر الذي غلبكم فيه، ويمنع من كونها للجنس أنَّ مراد فرعون بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾؛ أي: علَّمكم شيئًا دون شيءٍ؛ فلذلك غلبَكم، وواعدَكم ذلك، وتواطأتم عليه[3].

معنى فاء التسويف ودلالتها:

الفاء مفصِحة عن مقدَّر محذوف، ومعناها في التَّرتيب والتَّعقيب معروف

الفاء في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَۚ﴾: هي الفاء الفصيحة، ومدخولُها مرتبِطٌ بمحذوفٍ، وهو على ما ذُكر في سورة الأعراف:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 35، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5356.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 504، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 382.
(3) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 382.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: 123]؛ أي: إن استمررتم في فعلكم فلسوف تعلمون[1].

وهي تُرتِّب ما بعدها على ما قبلها انتقالًا من التَّضليل إلى التَّهديد، كشأن الطُّغاة دائمًا إذا ما حلَّ بهم الدَّليل يسترون عجزهم بالتَّهديد[2]؛ أي فتسبَّب عمّا فعلتم أنِّي أعاقبكم عقوبة محقَّقة عظيمة[3].

معنى اللّام ودلالتها في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ﴾:

في اللّام الدّاخلة على قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ﴾ وجهان:

الابتداء تأكيدًا، أو القَسَم تهديدًا

أحدهما: أنَّها للابتداء، دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة، والمبتدأ محذوف؛ أي: فلأنتم سوف تعلمون، وليست للقسم؛ لأنَّها لا تدخل على المضارع إلّا مع النّون المؤكَّدة، وجمعُها مع (سوف) للدَّلالة على أنَّ العِلْم كائن لا محالة، وإن تأخَّر لداعٍ، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد[4].

والآخر: هي لام القَسَم، وقاعدة التَّلازم بينها وبين النّون فيما عدا صورة الفصل بينها وبين الفعل بحرف التَّنفيس وصورة الفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: 158].

فاللّام واقعة في جواب قَسَم محذوف، ونابَت (سوف) عن إحدى نونَي التَّأكيد، فكأنَّه قيل: وعِزَّتي لتعلمُنَّ[5].

---

(1) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 382، والدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 572، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 74.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5356.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 35.

(4) الزجاج، معاني القرآن: 4/ 90، والبروسوي، روح البيان: 6/ 275، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5356.

(5) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 79، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 128، والدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 572.

دلالة التَّعبير بحرف التَّنفيس (سَوْفَ):

بيان تأكيد العِلم في المستقبل، واحتراز عن العجز والفوت

جيء بأداة التَّنفيس في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ لبيان تأكيد العلم في المستقبل، وهو علمُ معاينة لا علم إخبار[1].

وإنَّما لم يؤكَّد في الحال احترازًا من أن لا يقدر عليهم، فيعلم الجميع عجزه فيؤمنوا، مع ما فيها في الحقيقة على السَّحَرة من التَّأكيد في الوعيد الذي لم يؤثِّر عندهم في جنب ما أشهدهم الله من الآية التي مكَّنتهم في مقام الخضوع[2].

دلالة التَّعبير بالمضارع: ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

يدلُّ المضارع على الاستمرار والتَّجدُّد، ليدوم التَّهديد والتَّوعُّد

يفيد التَّعبير بالمضارع الدَّلالة على تجدُّد الفعل واستمراريَّته في زمن التَّكلُّم ممتدًّا بدلالة القرينة إلى المستقبل.

وقوله: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد زاد من شدَّته أنَّه سيقع متجدِّدًا مستمرًّا، فكلَّما وقع شيء ممّا هدَّد فرعونُ به المؤمنين توقَّعوا شيئًا آخر، وهكذا، وهذا أخوَف لهم، وأقسى عليهم.

نكتة حذف متعلّق الفعل: ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

حُذِف المفعول به تعميمًا، ليكون إطلاق التَّهديد مخوفًا عظيمًا

قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ستعلمون عند عقابي إيّاكم وبالَ ما فعلتم، وخطأ ما صنعتم من الإيمان بموسى[3]، فمفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف للتَّعميم إجمالًا في الوعيد لقصد إدخال الرُّعب[4]، فهو وعيدٌ مطلَق وتهديدٌ شديد[5].

علَّة فصل قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ عن سابقه:

كمال الاتِّصال من مواضع الفصل، وموانع الوصل

فُصِل قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ عمّا قبله؛ لما بينهما من كمال الاتِّصال، ذلك أنَّ جملة: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ لا محلَّ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5356.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 35.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 348، والدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 572.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 54.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 504.

لها، عطفُ بيانٍ على جملة ﴿تَعْلَمُونَ﴾[1]، فما ذُكِر مِن تقطيع الأيدي والأرجل مِن خلاف مع الصَّلب هو بيانٌ لما أوعد فرعونُ به المؤمنين في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

بلاغة الإطناب بالتَّفصيل بعد الإجمال في ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾:

تمكين المعنى في النُّفوس توكيدًا للتَّهديد، وتقريرًا للوعيد

في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إجمالٌ للتَّهديد أوَّلًا لقصد التَّهويل، وفي قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ تفصيل لما أُجمِل، وتفسير لما أُبهِم[3].

وسرُّ جمال هذا الأسلوب أنَّه يقدِّم المعنى الواحد في صورتين مختلفتين: إحداهما مبهمة، والأخرى موضَّحة، كما يفيد تمكين المعنى في نَفْسِ المُتلَقِّي تمكينًا زائدًا لوقوعه بعد استشراف النَّفس إليه بالإبهام، وهو من ضروب التَّوكيد التي حشدها فرعون لتوكيد تهديده، وتقرير وعيده.

نكتة استخدام صيغة التَّفعيل في ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾:

التَّفعيل لتكثير القطع والمقطوعين، وتعظيم تهديد المؤمنين

أوثر إيراد الفعل بصيغة التَّفعيل في قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾؛ للدَّلالة على كثرة القطع والمقطوعين[4]، أي لأقطعنَّ يدَ كلِّ واحدٍ منكم؛ تعظيمًا للتَّهديد، وإنفاذًا للوعيد.

معنى اللّام ودلالتها في ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾:

اللّام موطّئة لقَسَم مقدَّر؛ لتأكيد ما تَوَعَّد به فرعونُ وأنذر

اللّام في قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ هي الموطِّئة القَسَم[5]، أي: يقول فرعونُ: أقسمت لكم بقهري وسلطاني لأقطعنَّ منكم أكُفَّكم وأقدامكم حالةَ كونِها مِن خلاف؛ أي: متخالفات مِن كلِّ شقٍّ طرفًا، وهو أن يقطع اليد اليمنى والرِّجل اليسرى أو عكس ذلك[6].

---

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 74.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 243.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 35، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 116، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 79.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 35، والبروسوي، روح البيان: 6/ 275.

(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 74، والدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 573.

(6) الهرري، حدائق الروح والريحان: 20/ 202.

نكتة توكيد الفعل بنون التَّوكيد الثَّقيلة:

أُكِّد فعل ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ بنون التَّوكيد الثَّقيلة المباشرة لوقوعه في جواب القَسَم، مثبَتًا، متَّصلًا باللّام، دالًّا على الحال والاستقبال.

أُكِّـد الفعل بالنّون؛ لتأكيد ما توعَّد به المأفون

وهذا كلُّه لتأكيد تهديده، وتحقيق وعيده؛ إذ نزَّل القوم المؤمنين منزلة المنكِرين لِما يتوعَّدهم به؛ لمّا رآهم كفروا به وآمنوا بالله العليِّ العظيم.

دلالة التَّعبير بالمضارع في ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾:

أُريد بالمضارع الدّلالة على كون التَّقطيع مستمرًّا، ووقوعه متجدِّدًا متكرِّرًا

في التَّعبير بالمضارع دلالة على تجدُّد الحدوث وتكرُّره، وقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ يفيد أنَّ فرعون اللَّعين يتوعَّد المؤمنين باستمرار التَّقطيع آنًا بعد آنٍ، وحينًا بعد حينٍ، فلا يَسْكُنُ لمُعافاهم وجيبٌ، ولا يَقِرُّ لمقطوعِهم قرارٌ ولا يهدأ له نَحيبٌ.

سرُّ جمع الأيدي والأرجل وإضافتها لضمير المخاطَبين:

وقوع الجمع معرَّفًا بالإضافة لضمير المخاطَبين في قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ يكسبه العموم، فيعمُّ كلَّ يد وكلَّ رِجل من أيدي السَّحَرة وأرجلهم[1].

وقوع الجمع معرَّفًا بالإضافة يُكسِبه العموم

أي أنَّ فرعون توعَّدهم جميعًا دون أن يستثني منهم أحدًا، وهذا ما أكَّده بقوله في آخر الآية: ﴿أَجْمَعِينَ﴾، وقولُه بعدُ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾، فكانتْ غضبةً لكبريائه، فأرداه الله من عليائه، وجعله صاغرًا ذليلًا، وأخذه أخذًا وبيلًا!.

معنى ﴿مِّنْ﴾ ودلالتها في الآية:

ابتدائيَّة لبيان موضع قطع العضو الثّاني من الأوَّل، وعلى ذلك المعوَّل

﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ ابتدائيَّة لبيان موضع القطع بالنِّسبة إلى العضو الثّاني، فهي قيد للقَطع؛ أي أنَّ القطع يبتدئ في حال التَّخالف، وقد عُلِم أنَّ المقطوع هو العضو المخالِف، فتعيَّن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 54.

أنَّه مخالِفٌ لمقطوعٍ آخَر، وإلّا لم تُتَصوَّر المخالَفَة، فإذا لم يكن عضوٌ مقطوعٌ سابقٌ فقد تعذَّر التَّخالف، فيكون القطعُ للعضو الأوَّل آنفًا ثمَّ تجري المخالَفة فيما بعد[1]، وقيل: ﴿مِّنْ﴾ تعليليَّة؛ أي: مِن أجلِ خلافٍ ظهر منكم[2]، والأوَّل أولَى.

نكتة تنكير ﴿خِلَٰفٍ﴾:

التَّنكير لإرادة النَّوع المخصوص من الخلاف

الغرض من تنكير قوله: ﴿خِلَٰفٍ﴾ هو إرادة النَّوع، ذلك أنَّ الخلاف المقصود في قطع الأيدي والأرجل هو أن يُقطَعَ مِن كلٍّ شِقٌّ طرفًا، فتُقطَع اليد اليمنى مع الرِّجل اليُسرى، والعكس، وليس في الإهلاك أقوى مِن ذلك[3].

وهذه الطَّريقةُ في السِّياسة على الحكمة؛ فإنَّه حينئذٍ لا ييأس الجاني عن الحياة والتَّعيُّش، فيكون القتلُ بعدَه سياسةً أخرى، بخلافِ ما إذا قُطِعا مِن شِقٍّ واحدٍ، فإنَّه حينئذٍ يكون القتلُ راحةً وإزاحةً للعذابِ المَحْض[4].

معنى الواو ودلالتها في ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾:

الواو عاطفة على ما سبق لتعظيم التَّرهيب؛ بتنويع صور التَّعذيب

الواو في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ حرف عطف حيث عَطَفتْ جملتَها على ما قبلها[5]، فكأنَّ فرعون هدَّدهم بأمور ثلاثة: أوَّلها: التَّعذيب بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، وثانيها: القتل، وثالثها: التَّصليب؛ ليكونوا عبرةً لغيرهم، إذ هم أوَّل من شَقّوا عصا الطّاعة، ونبذوا ألوهيَّته الباطلة وراء ظهورهم[6].

وقد حسَّن الوصلَ هنا دون الفصل كونُ الجملتين متَّفقتين في الإنشائيَّة، ولقصد تشريك الجملة الثّانية للأولى في محلِّها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/ 183، و: 9/ 55.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 135.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 504.
(4) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 383.
(5) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 573.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5356 - 5357.

الإعرابيِّ، ولما بينهما من التَّلاؤم الفكريِّ؛ إذ التَّقطيع والصَّلب نوعا تعذيبٍ وتنكيلٍ مع حدوث المغايرة بينهما.

دلالة التَّعبير بمضارع التصليب:

الـدلالـة على الـتَّـجـدُّد والاسـتـمـرار، لإفادة استدامة الصَّلب ليلَ نهار

يؤتى بالمضارع للدَّلالة على تجدُّد حدوث الفعل واستمراره، والتَّعبير به في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ يفيد أنَّ فرعون لم يكتف بتهديد المؤمنين بصلبهم مرَّة واحدة، بل إنَّه سيكرِّر ذلك معهم متَّخِذًا الصَّلب سُنَّة له فيهم، إمّا بتكرار صلب الأفراد بلا فوت، وإمّا باستمرار تعليقهم حتَّى الموت.

دلالة توالي المؤكِّدات في الآية:

تـوالي المؤكِّـدات زيـادة في معنى التَّهديد، وإنفاذًا للوعيد

في هذه الآية حشد كبير من المؤكِّدات، خلاصتها ما يلي:

الفعلُ الماضي ﴿ءَامَنتُمْ﴾ المفيد للتَّحقيق، وهو خبر في لازم الفائدة أُريد به التَّقريع، والحرفُ المشبَّه بالفعل (إنَّ) المفيدُ تأكيدَ مضمونِ الجملة؛ لنيابته منابَ تكرير الجملة مرَّتين، إلّا أنَّه أوْجَزُ وأخصَر مع حصول الغرض من التَّأكيد[1]، ودخولُ لام التَّوكيد على خبر (إنَّ) في ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ القائم مقام تكرير الجملة ثلاث مرّات[2]، والتَّعبيرُ بالموصول وصلته لتأكيد مضمون الصِّلة في: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، واللّامُ الدّاخلة على حرف التَّنفيس، وهي للتَّوكيد أو القسَم، والقسَم نوع توكيد، والتَّفصيلُ بعد الإجمال في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾؛ إذ التَّفصيل توكيد لمضمون الإجمال لكونه كالتَّكرار له مع زيادة توضيح، واللّامُ الموطِّئة للقسَم في: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾، و﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، ونونُ التَّوكيد الثَّقيلة المتَّصلة في: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾، و﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، وجمعُ الأيدي والأرجل وإضافتهما لضمير المخاطبين؛ أي: أعمُّ كلَّ

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 526.
(2) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 526.

يد ورجل منكم، والتَّوكيدُ المعنويُّ ﴿أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: ولأصلِّبنَّ كل واحد منكم بدون استثناء لواحد فيكم[1].

وهذا الحشد من المؤكِّدات أراد به فرعونُ توكيد تهديده، وإنفاذ وعيده، وقتلًا للشَّكِّ في نفس أيِّ متشكِّك في توعُّده إنذاره، فقد سقطت هيبتُه، وبَطَلتْ ألوهيَّتُه، واهتزَّ ركنُه، وضاق عَطَنُه، فنوَّع صنوفَ التَّعذيب لتحصل بذلك غاية التَّرهيب.

وكأنَّه أراد به ترهيب العامَّة لئلّا يتَّبعوا السَّحَرة في الإيمان[2].

توجيه المتشابه اللفظي:

ذِكر فاعل القول في موضع الأعراف ظاهرًا: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ [الأعراف: 123] دون موضِعَيْ سورة طه والشعراء.

ووجهه أنَّه لمّا طال الفصل في سورة الأعراف بين أقرب ذِكرٍ للضَّمير العائد على فرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: 114]، وبين ذكره اسمًا ظاهرًا في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: 123]، مع ما بين الآيتين من اختلاف القائلين، والضَّمائر العائدة على المختلفين، فلو لم يتكرَّر ذِكر فرعون بالاسم الظّاهر، لحَصَل إلباس في تعيين هذا القائل، فناسب أن يُعاد ذِكر فرعون بالاسم الظّاهر بعد ذِكره سابقًا بالضَّمير لمَنع وقوع الالتباس.

أمّا في سورة طه، فقد تقدَّم ذِكر فرعون في جملة قومه فقال: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ [طه: 57]، ولم يأتِ ذِكرُه منفصلًا عنهم كما في الأعراف، ولم يَفصِل بين كلامه لموسى عليه السلام في ضمن قومه وبين قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: 71] بحوار مختلف مستقلٍّ بينه وبين غيره كما في سورة الأعراف، فلم يُخَف اللَّبْسُ كما خيفَ في الأعراف، فلم يُذكر اسمُ فرعون ظاهرًا، واكتُفي بالضَّمير العائد عليه.

وأمّا في سورة الشُّعراء، فكان آخر ذكرٍ لفرعون مستقلًّا في قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ

(1) طنطاوي، الوسيط: 10/ 248.

(2) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 563.

﴿إِذَا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ ثمَّ لم يفصل بحوار مستقلٍّ بينه وبين غيره، فلم يُخَف اللُّبسُ مِن عدم ذكر اسم فرعون ظاهرًا، واكتُفي بالضَّمير العائد عليه فقال: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾.

هذا وجه، وثَمَّ وجهان آخران، **أحدهما:** أنَّ الذي اتَّهم موسى ﷺ بالسِّحر في سورتي طه والشُّعراء هو فرعون نفسه، فجاء في طه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧﴾ [طه: 57]، وجاء في الشُّعراء قوله سبحانه: ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤﴾ [الشعراء: 34]، فناسب أن يُذكر بعد ذلك مضمَرًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾؛ لاتِّحاد القائل المتَّهِم بالسِّحر في الجملتين، وهو فرعون.

أمّا في سورة الأعراف فإنَّ مَن رمى نبيَّ الله موسى ﷺ بالسِّحر هم الملأ من قوم فرعون، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩﴾ [الأعراف: 109]، فناسب أن يُذكر فرعون بعد ذلك باسمه ظاهرًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ﴾ [الأعراف: 123]؛ لاختلاف القائل في الجملتين بين المتَّهِم بالسِّحر (وهم الملأ الكافرون) والمتَّهِم بالمكر (وهو فرعون الملعون).

والوجه الآخر أنَّ ذِكر فرعون في الأعراف أكثر، حيث ذُكر فيها تسع مرّات في الآيات: [103، 104، 109، 113، 123، 127، 130، 137، 141]، أمّا في سورة طه فقد ذُكر فيها خمس مرّات في الآيات: [24، 43، 60، 78، 79]، وأمّا في الشُّعراء فقد ذُكر ستَّ مرّات في الآيات: [11، 16، 23، 41، 44، 53]، فلمّا كان دوران ذِكره في الأعراف أكثر من السّورتين الأخريَيْن ذُكِر فيها باسمه ظاهرًا؛ ذلك أنَّ الله جلَّ شأنه قد قال في أوَّل الأعراف: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف: 6].

سر تعدية فعل الإيمان باللام ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾:

مع أنّه في موضع الأعراف عُدّي بالباء: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف: 123]، والأصل في تعدية الفعل (آمن) أن يكون بالباء، وهو الغالب في الاستعمال القرآنيِّ، ولا سيَّما إذا كان مقصودًا به الإيمان بالله تعالى، ويُقصد به التَّصديق والإقرار[1].

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 463، والزمخشري، الكشاف: 3/ 76، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 358.

وأمّا تعديته باللّام فلتضمينه معنى الانقياد والاستسلام، ويكون مجرورها حينئذ غيرَ الله تعالى[1]، نحو قوله سبحانه: ﴿*فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت: 26][2].

ولمّا لم يُفصَل بين فعل إلقاء العصا وبين إلقاء السَّحرة ساجدين بفاصل، ناسَب أن يُعدَّى فعل الإيمان باللّام فيه، لتضمنه معنى الخضوع والانقياد والاستسلام، وكان ذلك في موضع الشُّعراء وطه، فقال سبحانه في طه: ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه: 69 - 70] بلا فاصل بين إلقاء العصا وخُرورِ السَّحرة، فجاء عَقيبها قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ [طه: 71] معدًّى باللّام، وقال سبحانه في الشعراء: ﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ بلا فاصل أيضًا بين إلقاء العصا وخرور السَّحرة، فجاء عقيبها قوله ﷻ: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ معدًّى باللّام كذلك.

أمّا في الأعراف فقد فُصِل بين الفعلين بفاصل يوحي بوقوع بُرْهَةٍ بينهما لتفكُّر السَّحرة في أمرهم، وإقرارهم بالإيمان بما جاء به موسى ﷺ قبل إعلانِهم انقيادَهم، حيث جاء في الأعراف قوله تعالى: ﴿*وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠﴾ [الأعراف: 117 - 120]، ففصل بين الإلقاء والخرور، فجاء فعل الإيمان معدًّى بالباء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف: 123].

وممّا حَسَّن هذه المناسبةَ أنَّ التَّصديق والإقرار يأتيان في الواقع أوَّلًا قبل الانقياد والاستسلام، فجاء التَّنزيل على وفْقِ هذا التَّرتيب، حيث جاء التَّصديق والإقرار (المستفادان من تعدية فعل الإيمان بالباء) في الأعراف لأنَّها سابقة لِسورَتَيْ طه والشُّعراء في التَّرتيبين النُّزوليِّ والمصحفيِّ، وجاء الانقياد والاستسلام (المستفادان من تعدية فعل الإيمان باللّام) بعدها في طه والشُّعراء.

فالحاصل أنَّ الهاء التي في ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف: 123] تعود إلى ربِّ العالمين، وهو الذي دعا إليه موسى ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [الأعراف:

(1) الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 215، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/ 103.
(2) ابن جزي، التسهيل: 2/ 125.

104]، وأمّا الهاء في قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ تعود إلى موسى ﷺ، والدَّليل على ذلك أنَّه جاء في السّورتين بعدها: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فالهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾ هي التي في ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ فلا خلاف أنَّ هذه لموسى ﷺ[1].

فائدة اللام في ﴿فَلَسَوْفَ﴾:

إنَّ في زيادة اللّام في ﴿فَلَسَوْفَ﴾ زيادةَ توكيد ليست في ﴿فَسَوْفَ﴾ [الأعراف: 123]، وفيها كذلك معنى إدناء الفعل وتقريب حصوله هذا الوعيد الذي خوَّفهم منه حتَّى كأنَّه موجود في الحال، فالجمع بين اللّام وبين (سوف) التي للاستقبال يفيد تقريب وتحقيق وقوع هذا الفعل.

وأمّا سورة طه، فقد قال: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: 71]، فاللّام والنّون في ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ [طه: 71] للقَسَم، وهما لتحقيق الفعل وتوكيده، كما أنَّ اللّام في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لإدناء الفعل وتقريبه[2].

ومن هنا يتبيَّن أنَّ قوله في الشُّعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وكذا في طه: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ [طه: 71] أوكدُ وأقربُ في الحصول من قوله في الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف: 123] محذوفة اللّام.

وممّا يؤكِّد ذلك أنَّه قد جاء في ردِّ السَّحَرة الذين منَّ اللّه تعالى عليهم بالإيمان على تهديد فرعون في طه والشُّعراء زيادةٌ ليست في الأعراف، حيث جاء في طه قوله: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه: 72]، على قولٍ بأنَّ قوله: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾ [طه: 72] قَسَمٌ[3]، وجاء في الشُّعراء قوله: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

بينما جاء في الأعراف قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأعراف: 125] فجاء في طه بالقَسَم: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾ [طه: 72] لمقابلة القَسَم: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ [طه: 71] وزاد في الشُّعراء التَّوكيد بتعميم النَّفي: ﴿لَا ضَيْرَ ۖ﴾؛ لمقابلة التَّوكيد في ﴿فَلَسَوْفَ﴾ ولم يأت ذلك في الأعراف

(1) الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل: 2/ 670، 672.
(2) الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل: 2/ 674، 677.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 414.

لخلوِّها منهما؛ ولذلك جيء بحرف المُهلة ﴿ثُمَّ﴾ [الأعراف: 124] في جملة التَّوعُّد في الأعراف دون طه والشُّعراء، حيث قال في الأعراف: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: 124]، بينما قال في طه: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [طه: 71]، وقال في الشُّعراء: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ بدون حرف المُهلة فيهما؛ لأنَّ توكيدَ التَّهديد وتقريبَ حصوله لا يناسبه المُهلَةُ، فلذلك لم تأتِ (ثُمَّ) في طه، ولا في الشُّعراء، ولكنَّها جاءت في الأعراف؛ لأنَّ التَّهديد فيها لم يكن مؤكَّدًا كما هو فيهما.

سرُّ إيثار سورتي طه والشُّعراء بتوكيد التَّهديد وعدم توكيده في الأعراف:

مناسبة السياق لمحور السورة العام

قد ورد في تضاعيف القصَّة في سورة الأعراف ما يناسب قوله: ﴿فَسَوْفَ﴾ [الأعراف: 123]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [الأعراف: 124]، حيث ورد في مطلعها اقتراح فرعون أن يأتي موسى عليه السلام بآية تدلُّ على صدقه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأعراف: 106].

على خلاف القصَّة في الشُّعراء حيث ورد فيها قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: 29] فتهدَّد وتوعَّد، وأقسم وأكَّد.

فقال له موسى عليه السلام: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء: 30] فكان اقتراح الآية هنا من موسى عليه السلام حتى قال له فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الشعراء: 31]، فالخطاب التَّهديديُّ في الشُّعراء أبرز منه في الأعراف، فجاء في كلٍّ بما يناسبه.

وأيضًا ما جاء في الأعراف من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾

[الأعراف: 127]، فكأنَّه لم ينشط لذلك إلّا بإيعاز من مَلَئِه، فردَّ عليهم قائلًا: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: 127]، على خلاف سورة الشُّعراء فقد جاء فيها: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾، فالتَّهديد هنا آكد، والوعيد أشدُّ.

أمّا في طه فقد ورد ما يدلُّ على شدَّة بطش فرعون، حيث قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: 43 - 46]، فالخوف من بطش فرعون يناسبه تأكيد التَّهديد فيها.

وثَمَّ وجه آخر، حيث إنَّه قد ورد في سورة طه والشُّعراء النَّصُّ على حشد النّاس لشهود المناظرة، حيث جاء في طه قوله: ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩﴾ [طه: 59]، وفي الشعراء: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩﴾ [الشعراء: 39] ولم يَرِدْ ذِكْرُ ذلك في الأعراف، وهذا ما جعل وطأة الصَّدمة على فرعون شديدة جدًّا، وجعل حرجه منها بالغًا؛ لأنَّها وقعت أمام هذا الحشد الكبير من النّاس الذين تجمَّعوا ليشهدوا غَلَبةَ السَّحرةِ نبيَّ الله موسى عليه السلام تأكيدًا لألوهيَّة فرعون المدَّعاة؛ فلذلك جاء السِّياق في السّورتين مناسبًا لذلك بتأكيد الوعيد تخويفًا للنّاس الذين شهدوا سجود الحُذّاق من السَّحرة لله ربِّ العالمين، وشهدوا تداعي صرح ألوهيَّة فرعون الواهي!

فجاء الوعيد في طه مؤكَّدًا بالقَسَم: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ﴾ [طه: 71]، وفي الشُّعراء: ﴿فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ﴾، دون الأعراف: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾ [الأعراف: 123]؛ لأنَّه لم يُذكر فيها حشد النّاس.

وأخيرًا فإنَّ مِن شأن التَّهديد أن يُلقى ثمَّ يؤكَّد، وهو ما جاء في ترتيب القرآن، فقد ورد في الأعراف أوَّلًا، ثمَّ أُكِّد بعد ذلك في طه والشُّعراء.

فائدة استعمال الواو في ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾ دون (ثمّ):

وقد ذُكِر (ثمّ) للتَّرتيب والمُهْلَة بين تقطيع الأيدي والأرجُل من خلاف وبين الصَّلب في موضع الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤﴾ [الأعراف: 124] وذكر الواو في موضعي طه والشعراء، ووجهه أنه لمّا نُصَّ في سورتي طه والشُّعراء على حشد النّاس لشهود المناظرة

وكانت هزيمةُ السَّحرة أمامهم وسجودُهم للّه ربِّ العالمين أعظمَ ورطةٍ حصلت لفرعون ولما يدَّعيه، وأدهى مصيبة حلَّت به وببلاطه، فقد ناسبه أن يكون التَّهديد شديدًا، والوعيد أكيدًا لتخويف النّاس أن يتَّبعوا السَّحرة فيسجدوا للّه تعالى، فلذلك خلا الوعيد في طه والشُّعراء من حرف المهلة والتَّراخي، حيث قال في طه: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [طه: 71]، وقال في الشُّعراء: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ بدون حرف التَّراخي والمهلة فيهما؛ لأنَّ توكيد التَّهديد وتقريب حصوله لا يناسبه التَّراخي ولا المهلة؛ فلذلك لم تأتِ (ثُمَّ) في طه، ولا في الشُّعراء، ولكنَّها جاءت في الأعراف في قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: 124]؛ لأنَّ التَّهديد فيها لم يكن مؤكَّدًا كما هو في السّورتين الأخريين.

توجيه المتشابه في قوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

ذُكِر المصَلَّب فيه في سورة طه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71] دون الموضعين الآخرَيْن، وذكر التَّوكيد المعنويِّ فيهما: ﴿أَجْمَعِينَ﴾، ووجهه أنَّه لمّا كان سياق سورة طه قد صُرِّح فيه بذكر طغيان فرعون مكرَّرًا ومؤكَّدًا، كما في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: 24]، وقوله سبحانه: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: 43]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه: 45] كان ممّا يليق بهذا السِّياق ذِكرُ مزيد تفصيل للعقوبة التي توعَّد فرعونُ بها مَن آمن، ومنها الصَّلْبُ الذي ذُكِر في هذ السّورة تفصيلُه وكيفيَّتُه بما لم يُذكر في السّورتين الأخريين، وأنَّه سوف يصلِّبهم في جذوع النَّخل كما جاء في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: 71]، بخلاف موضع الشُّعراء وموضع الأعراف؛ فإنَّه لم يأتِ فيهما ذِكرٌ لذلك.

وثَمَّ وجه آخر، وهو أنَّ ذِكر جذوع النَّخل يتناسب مع ما ذكره اللّه ﷻ قبل ذلك من تعداد النِّعم التي أنعم اللّه بها على فرعون وقومه، مِن جعلِ الأرض مهدًا، وإنزال الماء مِن السَّماء، وإخراجِ أزواج شتَّى به مِن نبات الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه: 53 - 54]، فكان مِن ضمن هذه

النِّعم – التي هي آيات لأولي النُّهى – النَّخلُ الذي كان فرضُ فرعون وقومه أن يشكروا الله تعالى عليها، لا أنْ يعذِّبوا بها المؤمنين بتصليبهم عليها، فحَصَلتْ بهذا المفارقةُ العجيبةُ بين حال مَن كان واجبه أن يشكر النِّعمة فراح يستعملها في تعذيب المؤمنين بمَن أنعم بها! وهذا يتناسب مع ذكر طغيان فرعون المتكرِّر آنفًا.

وأمّا التَّأكيد بـ﴿أَجْمَعِينَ﴾ في سورتي الأعراف والشُّعراء؛ فلأنَّ كلتا السّورتيْن قد جاء فيهما ذِكرٌ لاحتشاد السَّحَرة، والحشر لهم من المدائن، وذكر الإتيان بـ(كلٍّ) ساحر عليم، كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾ [الأعراف: 111 - 112]، وكذلك في سورة الشُّعراء، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧﴾ [الشعراء: 36 - 37].

على خلاف سورة طه حيث ورد فيها أنَّ فرعون هو مَن تولَّى جمعهم بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾ [طه: 60]، فليس فيها لفظ الحشر، ولا التَّوكيد بـ(كُلٍّ).

ووجه آخر، وهو أنَّه قد ورد في السّورتين (الأعراف والشُّعراء) اشتراطُ السَّحرةِ الأجرَ إنْ هُم غلبوا موسى ﷺ، فجاء في الأعراف قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾ [الأعراف: 113 - 114]، وكذلك في الشُّعراء حيث قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

فجاء – بناء على ما تقدَّم في الوجهين السّابقين – التَّوكيدُ بـ﴿أَجْمَعِينَ﴾ في الموضعين – الأعراف والشُّعراء – مناسبًا لما ذكره ملأ فرعون من حشد السَّحّارين، والتَّوكيد بلفظ العموم فيهما (كلٍّ)؛ لتكون العقوبة المتوعَّد بها لهم شاملة لكلِّ ساحر دعاه – أوَّلًا – لمبارزة موسى ﷺ، ووعده – ثانيًا – بالأجر الجزيل إن غلب.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القَطع والبَتر والبَتْك:

البَترُ أخصُّ من القطع؛ لأنَّ البترَ يُستعمَل في قَطع ذَنَب الدّابة ثُمَّ أُجري قَطعُ العَقِب

مجراه؛ فقيل: فلانٌ أبتَر، أي: لا عَقِبَ له يخلفه ولا نسل[1]، وهو أخصُّ منه مِن وجهٍ آخر، ذلك بأنَّ البَترَ هو القَطعُ قبل الإتمام؛ يقال: بترت الشيءَ بَترًا: قطعته قبل الإتمام[2].

البترُ أخصُّ من القطع، والبَتك قطعٌ خاصّ

والبَتْكُ: قَطعٌ خاصّ[3]، يُستعمَل في قَطعِ الأذنِ والشَّعر، والبَتْكُ: هو القَبض على الشيء، على شَعر أو ريش أو نحو ذلك، ثم تجذبه إليك فيَنْبَتِكُ من أصله، أي: ينقطع وينتتف، والبَتك: قَطعُ الأُذُنِ من أصلها، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: 118 - 119][4].

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (بتر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (بتر).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (بتك).
(4) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب: (بتك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»